

تفسير ابن كثير

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

وقوله : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية . قال محمد بن إسحاق : حدثنا محمد بن

أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا

آمنا) أي بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . (وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا

(لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان منهم . فأنزل الله :

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله

عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) أي : تقرون بأنه نبي ، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق

عليكم باتباعه ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ، ونجد في كتابنا . اجحدوه ولا

تقروا به . يقول الله تعالى : (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) . وقال

الضحاك ، عن ابن عباس : يعني المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى

الله عليه وسلم قالوا : آمنا . وقال السدي : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا . وكذا قال

الربيع بن أنس ، وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ، حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فيما رواه ابن وهب عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : " لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن " . فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق : اذهبوا فقولوا : آمنا ، واكفروا إذا رجعتم إلينا ، فكانوا يأتون المدينة بالبكر ، ويرجعون إليهم بعد العصر . وقرأ قول الله تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) [آل عمران : 72] وكانوا يقولون ، إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون . ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره . فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر . فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون . وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون فيقولون : أليس قد قال الله لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجعوا إلى قومهم [يعني الرؤساء] قالوا : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) الآية . وقال أبو العالية : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني : بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) قال : كانوا

يقولون : سيكون نبي . فخلا بعضهم ببعض فقالوا : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) . قول آخر في المراد بالفتح : قال ابن جريج : حدثني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم ، فقال : " يا إخوان القردة والخنازير ، ويا عبدة الطاغوت " ، فقالوا : من أخبر بهذا الأمر محمدا ؟ ما خرج هذا القول إلا منكم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما حكم الله ، للفتح ، ليكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج ، عن مجاهد : هذا حين أرسل إليهم عليا فأذوا محمدا صلى الله عليه وسلم . وقال السدي : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) من العذاب (ليحاجوكم به عند ربكم) هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به . فقال بعضهم لبعض : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) من العذاب ، ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم ، وأكرم على الله منكم . وقال عطاء الخراساني : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني : بما قضى [الله] لكم وعليكم . وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود ، كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض ، قال بعضهم : لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم

مما في كتابكم ، فيحاجوكم به عند ربكم ، فيخصموكم .